

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[92] قصة آدم وحواء، وعداء ومحاربة إبليس لهما. وربّما كانت إشارة إلى أن الصراع بين الحقّ والباطل لا ينحصر بأمس واليوم، وموسى (عليه السلام) وفرعون، بل كان منذ بداية خلق آدم وسيستمر كذلك. وبالرغم من أن قصة آدم وإبليس قد وردت مراراً في القرآن، إلا أنّها تمتزج في كلّ مورد بملاحظات ومسائل جديدة، وهنا نتحدّث أوّلاً عن عهد القرآن إلى آدم فتقول: (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً). هناك عدّة آراء في ماهيّة العهد المذكور، فقال البعض: إنّ أمر القرآن بعدم الإقتراب من الشجرة الممنوعة، وهناك روايات متعدّدة تؤيّد هذا المعنى. في حين أنّ بعض المفسّرين احتملوا احتمالات أُخرى يمكن إعتبارها بمثابة الأغصان والأوراق لهذا المعنى، كإخطار القرآن لآدم بأنّ الشيطان عدوّ مبين له، ويجب أن لا يتبعه. وأمّا "النسيان" هنا فمن المسلم أنّّه ليس بالمعنى المطلق، لأنّه لا معنى للعتاب واللامامة في النسيان المطلق، بل إنّ إمّا بمعنى الترك كما نستعمل ذلك في مكالماتنا اليوميّة، فقد نقول لمن لم يف بعهده: أنسيت عهدك؟ أي إنّك كالناسي. أو أنّّه بمعنى النسيان الذي يطرأ نتيجة قلاّة الإنتباه وشروذ الذهن. والمراد من "العزم" هنا هو التصميم والإرادة القويّة الصلبة التي تحفظ الإنسان من الوقوع تحت تأثير وساوس الشيطان القويّة. وعلى كلّ حال، فلا شكّ أنّ آدم لم يرتكب معصية، بل بدر منه ترك الأُولى، أو بتعبير آخر، فإنّ مرحلة وجود آدم في الجنّة لم تكن مرحلة تكليف، بل كانت مرحلة تجريبية للإستعداد للحياة في هذه الدنيا وتقبل المسؤولية، خاصّةً وإنّ نهي القرآن هنا كان نهياً إرشادياً، لأنّه قد أخبره بأنّه إن أكل من الشجرة الممنوعة فسيتلى بالشقاء. وقد أوردنا تفصيل كلّ ذلك، وكذلك المراد من الشجرة الممنوعة وأمثال ذلك في ذيل الآيات 19 - 22 من سورة الأعراف.